سيمياء الشخصية في روايات "عز الدين جلاوجي"

Personal psychology in the novel of Izz al- Din jalaweji

مـديحـة سـابــق
طالبة دكتوراه جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي–
sabegmadiha@gmail.com

تاريخ الوصول :2018/12/08 القبول: 02/05/ 2020/النشر على الخط: 2020/06/15
Received: 08/12/2018 / Accepted: 02/05/2020 / Published online : 15/06/2020

ملخّص:

يسعى هذا المقال للكشف عن مستويات الشخصية في روايات "عز الدين جلاوجي" وهي محاولة لاستكشاف دلالات الشخصية ومدلولاتها، ومعرفة أنواع الشخصيات ووظائفها، وما مدى توظيفها في صناعة أحداث الرواية، مستعينا بما آلت إليه أبعاد الشخصيات في الدراسات الغربية الحديثة، من خلال مقولات "فيليب هامون" الذي عدها مفهوما سيميولوجيا ووحدة دلالية تحدد بالأفعال والصفات ودراستها بوصفها دالا ومدلولا كونها علامات قادرة على توضيح قيمة الشخصية كعلامة سيميائية محورية في البناء السردي الروائي تجسد في طياتها كل المكونات السردية.

الكلمات المفتاحية: سيمياء – الرواية – الشخصية – الدال والمدلول – عزالدين جلاوجي.

Abstract :

This article seeks to reveal the character symbiosis in the novels of Izz al-din jalawji an attempt to explore the meanings of personality and its meanings and knowledge of personalities and functions of the characters and the extent of employment in the industry of the events of the novel using the implications of the dimensions of figures in modern western studies in order to determine the semantic significance and the extent to achieve that goal.

Key words :
Simbiosis- The novels- personal- Meaning and meaning-Izz Din jalaweji.

مقدمة:

تعتبر الشخصية من أصعب المقولات التي بحثت فيها نظرية الأدب من خلال تفكيك السرود وتركيبها وتحليلها وتأويلها مستعينة بنظريات نقدية حديثة ومعاصرة كالبنيوية والأسلوبية واللسانية وكذا السيميائية... لتقديم الشخصية باعتبار مقولة لسانية وعلامة سيميائية ومكونا أساسيا من مكونات الخطاب الروائي ،إذ تسعى إلى أن تفتق مجمل الأنظمة العلامية التي يبنى عليها النص الإبداعي، وتحاول في الآن نفسه أن تعيد صياغة دواله ومدلولاته من خلال الاهتمام بمستويات الدلالة، وطريقة تولد المعاني وإضاءة مستويات النص المختلفة، ويضم هذا النص مكونات سردية فاعلة تؤدي وظائف متعددة تعتبر الشخصية أهمها لما تضفيه من حركية وسيطرة، إنها نبض النص والحركة التي تجري في شرايينه لا نستطيع تجاوزها لدورها الفعال والجمالي الذي لا تكتمل وظيفته إلا باكتمال النص.

أولا: سيمياء الشخصية:

تمهيد تعريفي للروائي ورواياته:

الروائي "عزالدين جلاوجي" من المواهب الجزائرية التي اكتسحت الأدب وغمرته بأعمال روائية وأدبية تعالج قضايا الواقع الجزائري والعربي بكل ما يحمله من هموم ووقائع أثقلت كاهله، هذه القضايا التي لا يمكن الولوج إليها إلا من بوابة السرد وعناصره المختلفة الذي يفرض منظومته الإبداعية والدلالية على المبدع، الذي يشكله بمنظوره الخاص ورؤيته التي يراها مناسبة لطرح مثل هذه المسائل المصيرية.

لذلك حاولت وعلى مدار سلسلته الروائية والمتمثلة في:" سرادق الحلم والفجيعة، راس المحنة، العشق المقدنس، الفراشات والغيلان، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، الرماد الذي غسل الماء والحب ليلا"، أن أسلط الضوء على عنصر فاعل في البناء السردي ألا وهو الشخصية وما تمارسه من أفعال تنهض على عدة مقومات وفق هندسة دقيقة نحاول أن نستنطق مساراتها.

1) - مدلول الشخصية:

ولأن الشخصية عنصر فعال من عناصر الفن الروائي، فلا يمكن تصور رواية بدونها مما يؤهلها لأن تحتل المكانة الأولى التي توجه الحدث وتحرك بنيته فهي محور الأعمال مثلما يرى "هنري جيمس" الذي يقول: <<ما الشخصية إن لم تكن محور الأعمال؟ وما العمل إن لم يكن تصوير الشخصية؟ وما اللوحة أو الرواية إن لم تكن وصف طباع الشخصية[1]>> بل هي التي توجه الحدث وتحرك وتيرته فهي <<موضوع القضية السردية>> [2] وعلى أساسها تبنى الأحداث.

[1]- الصادق قسومة: طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، تونس، د ط، 2000، ص: 96.

[2]- تزيفتان تودوروف: مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005، ص: 73.

وضرورة البحث عن الشخصية الروائية ضمن البناء الروائي لا يأتي من أن الشخصية هي مجرد عنصر من هذا البناء فحسب، بل تتأتى أيضا من قيمتها في التعبير الجمالي في علاقتها بالفضاء الخارجي (الواقع) أو الفضاء الداخلي (النفس) من خلال رؤى وأفكار يتخفى وراءها الروائي أو يقوم بتحريك الأحداث من منظور الفاعل المهيمن أو هو البطل ذاته ممررا رسالة عبرها إلى القارئ.

وهكذا تتنوع وتنتقل (الشخصية) بين الخيالي والواقعي من خلال جملة الخصائص التي يلبسها الكاتب لشخصياته وبهذا يبنى الخطاب الروائي شخصياته بطريقة مميزة، حيث يجعلها تنبض بالحياة بمختلف مظاهرها.

وبتتبع صيرورة الفن الروائي نجد أن الشخصية في الرواية التقليدية اعتبرت ثانوية مقارنة بباقي عناصر العمل التخيلي، فهي خاضعة خضوعا ما للحدث، وقد استمر هذا التصور عند المنظرين الكلاسيكيين الذين يرون الشخصية مجرد اسم يقوم بالحدث.[1]

لكن في القرن التاسع عشر تبوأت الشخصية منزلة رفيعة، فـ<< كانت في الرواية التقليدية هي كل شيء بحيث لا يمكن أن نتصور رواية دون شخصية مثيرة يقحمها الروائي فيها، إذ لا يضطرم من أجل كل ذلك نلقى كثيرا من الروائيين يركزون عبقريتهم وذكاءهم على رسم ملامح الشخصية>> [2]

ويبدو أن هذا الاهتمام المبالغ فيه برسم ملامح الشخصية، ويعود سببه حسب <<آلان روب غرييه" إلى ارتقاء قيمة الفرد في تلك الفترة ورغبته في السيادة، هذا ما دفعتهم إلى جعل الشخصية تختزل مميزات الطبقة الاجتماعية فأصبحت كل العناصر توظف لإظهار الشخصية ومنحها الحد الأدنى من البروز>> [3]، ولا شك أن مسار الشخصية وتطورها وتحركها على المستوى النفسي والاجتماعي والمادي يساعد جوانب كثيرة من الرواية على التبلور والتطور والانتشار، وهذا يقود الباحث إلى أشكال الشخصية ووظائفها كعنصر فاعل ينطلق من الواقع إلى عالم الخيال، لذا <<تعامل الشخصية على أساس أنها كائن حي له وجود فيزيقي، فتوصف ملامحها وقامتها وملابسها، وسحتها وسنها، وأهواؤها، هواجسها وآلامها، وسعادتها وشقاوتها>> [4]

ولكن مع مطلع القرن العشرين، بدأت تتغير الرؤية، فحاول الروائيون والنقاد التقليل من سلطتها في الأعمال الروائية لذا <<بدأت الشخصية بمفهومها الكلاسيكي، تمحي تدريجيا>> [5] لتنتقل إلى فترة احتلت فيها مركزا استراتيجيا ولأن <<ذلك العصر المتوهج، لم يعد قائما، إن الروائيين الجدد... بدأوا يهوون الصروح الجميلة التي كانت الشخصية الروائية تتربع فيها>> [6]، فمنهم من يجعلها إنسانا حيا من الواقع، ومنهم من هيأها، ومنهم من يتنكر لها تماما مثل "شلوفسكي" وهناك من يقف موقفا وسطا منها.

---

[1]– حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،ط1 ،1990،ص: 208.

[2]– عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)،عالم المعرفة،الكويت،1998،ص: 76.

[3]– حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص: 76.

[4]– عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، ص: 76.

[5]– السعيد بوطاجين: الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية غدا يوم جديد لابن هدوقة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2000، ص: 14.

[6]– عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، ص 80.

ومهما قيل أو يقال عن الشخصية وقيمتها في العمل الروائي، فإنها تشكل <<بؤرة مركزية لا يمكن تجاوزها أو تجاوز مركزيتها، فالرواية هي أكثر الأجناس الأدبية ارتباطا بالشخصية>> [1]

هذا ما يجعل البحث عن قيمتها الجمالية وأبعادها الدلالية تقوم على تتبع السمات الدالة عليها في النص، ولأن دراسة الشخصية <<من أهم الوسائط الرامية إلى إضاءة (عالم النص) عبر مستويين: الأول فني جمالي يعطي (القص) قيمته الفكرية الجمالية... والثاني فكري معرفي (على اعتبار أن الشخصية) نافذة للإطالة على البنى المتجاورة في القطاع الإنساني الاجتماعي[2]>>.

و"فلا ديميربروب V.propp" فقد ركز في كتابه "مورفولوجيا القصة" على الأفعال التي تقوم بها الشخصية في الحكاية، وقلل من أهمية الشخصية، أما العناصر الثابتة فهي تقوم به الشخصية من دور [3]، وقد استطاع تحديد <<...الوظائف التي تتكرر في كل الحكايات بإحدى وثلاثين وظيفة، أهمها: الابتعاد، المنع، الخرق، الاستنطاق، الخديعة، التواطؤ، الفشل،... واستخراج منها شخصيات هي: البطل، المعتدي، المانح، المساعد، الأميرة وأبوها الآمر، البطل المزور...>> [4]

وعلى غرار "بروب"، يقترح "غريماس" (Greimas) تصنيف الشخصيات وفق تصرفاتها الهادفة إلى تحقيق مشروع سردي، أي أن اهتماماته تنصب على ما تفعله الشخصيات، لا ما توصف به، وهو ما أطلق عليه النموذج العاملي. [5]

وهو نظام غير متحرك يبنى على <<...ثلاثة أزواج من العوامل هي: المؤتى/المؤتى إليه، والفاعل/الموضوع، والمساعد/المعارض، وتنظيم بين هذه العوامل جميعا علاقات...>> [6]

أما "رولان بارت" (Roland Barthes) فتبنيه الاتجاه البنيوي، يعتمد بأن <<الشخصيات في الأساس كائنات ورقية>> [7]، بمعنى أنها حبيسة صياغة تخييلية، ولا وجود لها خارج مملكة اللغة.

وعلى هذا يتحدد مفهوم الشخصية حسب "فيليب هامون" أنه <<ليس مفهوما أدبيا محضا، وإنما هو مرتبط أساسا بالوظيفة التي تقوم بها الشخصية داخل النص.>> [8]

بناء على ما سبق، نجد أن الشخصية بقيت توقع حضورها بامتياز في كل الأجناس السردية، وتفرض على الاتجاهات النقدية التي جاءت بعد البنيوية، مناقشتها وتحليلها، بمناهج شتى وطرائق عدة، في سعي دؤوب لسبر أغوارها.

---

[1]- صلاح صالح: سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2003، ص: 109.

[2]- المرجع نفسه، ص: 102- 103.

[3]- ينظر: فلاديميربروب: مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن وسميرة عمو، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 1996، ص 38.

[4]- أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ط، 1987، ص:31.

[5]- محمد الناصر العجيمي: في الخطاب السردي، نظرية غريماس- الدار العربية للكتاب، سلسلة مسائلات، تونس، د ط، 1993، ص: 38-56.

[6]- المرجع نفسه، ص: 40.

[7]- رولان بارت: مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: منذ عياشي، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، سورية، ط1، 1993، ص: 72.

[8]- لطفي السيد محمد: أوراق عبد الله العروي، القوى السردية الفاعلة -كتابات معاصرة، عدد 43، ص: 72.

هذه الشخصية التي يتحدد بناؤها من خلال مسار الأحداث فتبين دورها من خلال التفنن في وصف حركتها وثباتها، إيجابياتها وسلبياتها، كما تتغلغل في دواخلها محللا ومبرزا أفعالها الموحية بدلالات تثير فضول القارئ الذي يسعى إلى كشف خباياها التي ترسم بعلاقاتها عالما تخيليا قد يكون انعكاسا لعالم الواقع لتثبت وجودها في العمل السردي.

وعلى هذا أسقطت السيميائية دعاوى جعل الشخصية الروائية معادلا موضوعيا للتاريخية، كما أبطلت أسطورة فصل الشخصيات عن الواقع، وفصلها عن القيم الاجتماعية.

2) - سيميائية الشخصية:

لذلك اهتم السيميائيون بالشخصية كأحد البنيات المكونة للخطاب السردي، فاعتبروها <<نسقا من المعادلات المترجمة في أفق ضمان مقروئية النص>> [1] أي: أن الذات المستهلكة للنص تسهم في بنائه؛ أما المنتجة له فهي التي تخلقها، فتجعلها ترتدي ألبسة، وتنبض بالحياة، وبهذه الطريقة يمنحها كيانا جديدا، وحرية على مستوى الوجود والدلالة، فتكون نقطة حبر تنسكب بعذوبة على ورق وردي، وأخضر، وأبيض، وأصفر، وأزرق، وتتشكل بعد ذلك ضمن النص>> (2)

ومع ظهور الدراسات الشكلانية والبنيوية بدأ الاهتمام بالأعمال والأفعال التي تنهض بها الشخصية داخل النص من خلال مفهوم الوظيفة، ما أدى إلى ظهور مصطلحات متصلة بعنصر الشخصية مثل: الفاعل، العامل، المورفيم، البطل، الممثل،... وكذا علاقات الشخصيات، دال الشخصية ثم مدلولها.

وسنوجه الدراسة في هذا المقال الى سمات الشخصيات في روايات "عز الدين جلاوجي" باعتبار مرجعياتها.

ثانيا: مرجعية الشخصيات في الرواية:

تناول "فيليب هامون" في كتابه "سيميولوجية الشخصيات الروائية" الشخصية كدال تتخذ عدة أسماء تميزها مع صفات تشخص هويتها، وتبرز الوظيفة التي تؤديها بمعطيات سياسية، ثقافية، اجتماعية، وإنسانية، وقدم ثلاثة أصناف للشخصية: شخصيات مرجعية، شخصيات إشارية، وشخصيات استنكارية، وهو في تصنيفه هذا يجعل الشخصيات المرجعية إلى الأنواع لما لها من أهمية، وتواجد على مستوى الروايات المدروسة، ويقصد بها الشخصيات ذات المرجع التاريخي كـ"نابليون"، والاجتماعي كـ"العامل، الفارس، المحتال"، وشخصيات أسطورية كـ"أوديب وفينوس" أما الشخصيات المجازية فهي التي ترمز مثلا للحب والكراهية.

وهذه الشخصيات يدل عليها اسمها، تحيل إلى عالم مألوف عند القارئ تفرضه عليه ثقافته وتاريخه وترد بناء على اختيار الكاتب لها << فهو الذي ينتقي ملامحها وسماتها، ويحدد لها موضعا معينا من عالم المغامرة ويربطها بجملة من العلاقات>> (3).

---

[1] -Philippe Hommon : pour un statue sémiotique du personnage. Un poétique du récit seuil, 1979,P : 125.

[2]- شريبط أحمد شريبط: سيميائية الشخصية الروائية، تطبيق آراء فيليب هامون (Philippe Hommon) على شخصيات رواية "غدا يوم جديد" لعبد الحميد بن هدوقة، النص الأدبي سيمياؤه، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار، عنابة 15-17 ماي، 1995، ص: 179.

[3]- الصادق قسومة: طرائق تحليل القصة، ص: 101.

وستكون دراستنا للشخصية في الخطاب الروائي عند "عز الدين جلاوجي" مبنية على مرجعيات مختلفة سواء قدمت بطريقة مباشرة عن طريق وصفها أو غير مباشرة تتضح من خلال خصوصياتها فقد اخترنا هذا لما له من أهمية في التعريف بالشخصية الروائية، دورها، علاقاتها ووظائفها ولما لها من حضور يميزها وأبعاد تبرز جماليتها.

1) – الشخصيات ذات المرجعية الثقافية:

يستثمر الروائي الشخصية ذات المرجعية المثقفة، شخصيات أدبية (كتاب وشعراء) ويسعى إلى إبراز صوتها داخل كتاباته الروائية إلى درجة أصبحت تشكل <<واحدة من الشخصيات الرئيسية التي هيمنت على الرواية العربية>> [1]، ورغم اختلاف الآراء في إيراد تعريف متفق عليه حول المثقف، يميل الباحثون إلى اعتباره <<كل من ربط وجوده ومصيره بمجموعة معينة من القيم >>[2] .

إلا أن "ادوارد سعيد" يذهب إلى تعريفه بقوله <<فمفهومي لمصطلح المثقف أو المفكر يقول إنه، في جوهره، ليس داعية مسالمة ولا داعية في الآراء، لكنه شخص يخاطر بكيانه كله باتخاذ موقفه الحساس، وهو موقف الإصرار على رفض "الصيغ السهلة، والأقوال الجاهزة المبتذلة، .....

يتضح من هذا المفهوم تعمد الكاتب توظيف صفة عدم التسليم بالجاهز، ونلمس في هذا تمردا مستمرا على هذه السكونية والرتابة التي تحاول السلطة فرضها قوة وعنوة.

وفي هذا المفهوم يصرح "علي أرمليل" قائلا: << لن نعود إلى عشرات التعريفات القاموسية لهذه الكلمة وإنما نستقر أن الثقافة هي محصلة المعارف والقيم الحاضرة على السلوك، هذه المعارف تتوار في مجتمع وتتلقى في الأسر والمدارس، وتكيف السلوك الفردي والجماعي>> [3]

يحمل هذا المفهوم الثقافة في وجهها الموجب أي أنها تؤسس في جو تعليمي للمستقبل.

ومنهم من يربط شخصية المثقف بطبيعة العمل الذي يزاوله الشخص لتصبح معيارا لتحديد انتماء هذه الشخصية إلى زمرة المثقفين حيث تعد <<العنصر الحاسم في تعريف المثقف، ومحلها ذهن الإنسان كالمنتجين في ميادين العلم (المهندسين الفنيين، ورجال المحاماة)، والتدريس (الباحث الجامعي، والمتعلمين)، والفلسفة (الفكر)، وميادين الأدب، والفن (الفنانين)، وفي بعض الأحيان على المتعلم البسيط (العمال الفنيين)>> [4]

وباختصار هو ضمير الأمة الذي لا ينام أي المثقف، يصطدم، يتدحرج ساعيا دون كلل أو ملل صوب إيقاظ المجتمع من غفوته، وقد يكسره هذا المجتمع لكنه يبقى صامدا ساعيا إلى تقويم اعوجاجه.

هكذا انعكست الأزمة الجزائرية في التسعينات انعكاسا سلبيا على المثقف الجزائري، فوجد نفسه أمام مصير محتوم، حاول الروائي الإشارة إليه عبر شخصياته المحيلة على أفكار متصلة به ايدولوجية وفلسفة، وشخصيات مستحضرة من خلال الذاكرة.

---

[1] – غسان زيادة: إنه نداء الجنوب – قراءات في الأدب والرواية– دار المنتخب العربي للدراسات، بيروت، ط1، 1995، ص: 135.

[2] – حسين عيد: المثقف العربي المغترب في الرواية الحديثة، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 26، ع1، سبتمبر1998، ص: 285.

[3] – علي أرمليل: سؤال الثقافة – الثقافة العربية في عالم متحول، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص: 67.

[4] – حسين عيد: المثقف العربي المغترب في الرواية الحديثة، مجلة عالم الفكر،الكويت،مج26، ع1،1998، ص: 285

وفي رواية "الرماد الذي غسل الماء" تعددت تلك الأصوات المثقفة، وتعددت حالاتها، وتنوعت طرائق بوحها، كما اختلفت كذلك أنماط تفاعلها مع المكان والزمن، وتتمثل تلك الشخصيات المثقفة في الرواية المذكورة في الشخصيات التالية:

-شخصية "فاتح اليحياوي":

تعد من الشخصيات المثقفة الفاعلة، بحكم المكانة التي يحتلها ودوره في انتاج الوعي وترسيخه في عقول العامة من الناس، ودوره المحوري تطهير مدينة "عين الرماد" مما علق فيها من أفكار بالية وتشوهات أخلاقية وانحرافات وتبعية للسلطة أي: أن نشاطه كفاحي نضالي.

وترد كلمة المثقف في قواميس علم الاجتماع على اعتبار الفئة المتعلمة <<أعضاء الطبقة المتعلمة في المجتمع الذي يشغلون غالبا وظائف مهنية وإدارية ويحفظون بدرجة معينة الوعي بأنفسهم كطبقة اجتماعية>> (1)،

إذن: الاسم: فاتح، اللقب: اليحياوي، المهنة: أستاذ جامعي، التخصص: علم الاجتماع ومهتم بفلسفات "دور كايم"، "سقراط" و "كنفوشيوس" وغيرهم من المفكرين.

مؤهلاته: مفكر مهتم بالمجتمع، يسعى إلى التغيير ومواجهة رموز السلطة والفساد في المدينة بغية إجلاء قيم الخير والجمال والحق.

وتنطبق عليه مقولة المثقف <<الذي يخلص لطبقته، ويجعل فكره متماشيا مع حاجاتها ومتطلباتها، إذ يجب أن يكون منسجما مع ذاته بعيدا عن التناقضات وممتلكا التصور الموحد عن العالم>> (2).

ومن المواصفات التي أدرجها الروائي في وصف شخصية "فاتح اليحياوي" ما أورده هذا المقطع:

<<كان فاتح اليحياوي في سنواته الأولى وقد عين أستاذا لعلم الاجتماع بالجامعة يفيض حماسا ويتدفق حيوية، فألهب العقول والقلوب، ولم يكتف بفلسفات نظرية، بل راح يقود الطلبة للاحتكاك بالواقع، ويدفعهم للتفاعل معه، وتغييره>> (3)، وفي مقطع آخر: <<ظل يرفض الزواج مخيبا آمال والديه تاركا الفرصة لإخوانه الأقل منه، مؤكدا مقولة أمه: فاتح تزوج الكتب>> (4)

تبرز هذه الشخصية كرهينة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالثقافة، فهو كالناسك المتعبد الذي زهد في الحياة من أجل العلم، زهد من كل شيء من أجل شيء واحد هو الهدف التنويري، الإصلاحي، الثوري من أجل المجتمع، أما الدلالة الاسمية لهذه الشخصية (فاتح) فتؤول تأويلات منها: الفتح والنصر في العصر الإسلامي، متفتح الفكر، واسع الثقافة من خلال اطلاعه على كثرة الكتب وخاصة الفكر الماركسي، يقوم بنشر الوعي في أواسط الطلبة حاملا مشعل التغيير من أجل اخراج المجتمع (مدينة عين الرماد) من حالة التخلف والخوف والتسلط والفقر بسبب السلطة المتعفنة إلى واقع أفضل، لكن السؤال مطروح:

- هل يمكن لهذه الشخصية أن تحمل هذا المشعل وتقاوم من أجله؟
- هل يمكن لها أن تستمر في التغيير رغم الواقع السلطوي؟

---

[1]- محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكاتب، القاهرة، 1978، ص: 252.

[2]- محمد رياض وتار: المثقف في الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2000، ص: 16.

[3]- عز الدين جلاوجي: الرماد الذي غسل الماء، دار الروائع للنشر والتوزيع،الجزائر،ط4،2010 ،ص: 38.

[4]- المصدر نفسه، ص: 31.

–يمكن أن تتحدى السلطة؟

–إلى أي صنف يمكنك تصنيف هذا النوع من الشخصية (إيجابية أو سلبية)؟

وهذا ما نحاول الإجابة عنه.

من هذا المسار تنطلق شرارة الصراع بين "فاتح اليحياوي" و "عزيزة الجنرال" الشخصية الأولى: شخصية مثقفة مناضلة هدفها تغييري، تطويرا للقرية، أما الثانية: مستبدة، متسلطة تأبى التغيير من أجل قوة البقاء، رمزا للتهديد، تمتلك السلطة ، البطل يخالفها لا يمكن لأحد أن يقاومها وإلا فمصيره السجن، وهذا ما يشير إليه هذا المقطع:

<<كان فاتح اليحياوي أكثر الشباب حماسة، وأكثرهم ثورة على كل مظاهر الانحراف الاجتماعي والسياسي، وكان يدرك جيدا أن سكان عين الرماد هم ضحية مؤامرة بين من يملكون الدينار ومن يملكون القانون... وما كانت عزيزة الجنرال تستولي على أراضي الفلاحين البسطاء، وتأخذها منهم عنوة ... لقد تدخلت القوات العمومية وفرقت المتظاهرين، ليحاكم فاتح، ويشهد بعض المتضررين على صحة ما وجه إليه من تهم.. حين زاره كريم في السجن.....

يتضح من المقطع السابق أن شخصية "فاتح اليحياوي" باعتبارها (العامل الذات) بدأت في الانهزام ورؤية الأوضاع من جوانب أخرى لم يتفطن لها سابقا، وهي بروز شخصية منافسة له وهي العامل المعارض (عزيزة الجنرال)، فقد صور لنا الروائي عمق الأزمة التي يعانيها المثقفين في بلدانهم لأنهم كشفوا ألاعيب السلطة وقاموا بتعريتها عن طريق الكتابة أو الخروج في مظاهرات رفضا منهم للواقع المعاش والبحث عن طرق تخلصهم من القمع المتمثل في (الفساد، الجهل، الخوف،...) والتعبير عن حرية الرأي وتحقيق العدالة الاجتماعية، كما صور لنا الصراع بين الطبقتين (الغنية والفقيرة)، <<فالمثقف وهو يعيش واقعا مزريا استطاع أن يقرأ في السلطة عطب الوجود، فوقف منها موقف الاحتياج والتنديد ازاء ما يتعرض له الأفراد من ظلم وتعسف[1]>> .

هذا الظلم والتعسف لم يلق سبيلا بسبب الصعوبات والمحن التي عاشها "فاتح اليحياوي" ما جعله يعيش اغترابا نفسيا في زمن ينتصر فيه الأقوياء مالا ونفوذا على القانون الذي يطبق على الضعفاء فقط، في البداية لا زالت تعيش الشخصية "فاتح اليحياوي" نوعا من المقومة ولم تأبه لمصير السجن الذي زجت فيه فكان حضورها إيجابيا <<وقفت في وجه السلطة وقاومتها، ولم يزدها جبروت السلطة وقمعها إلا تمسكا بمبادئها وأهدافها ودورها المنوط بها>> [2] .

لذلك <<لم يزعج "فاتح اليحياوي" دخوله السجن... كثير من الشرفاء زج بهم فيه، وما زالوا يزجون، لكن ما حز في نفسه أن تنفض عنه الجموع الغفيرة التي تجمع على أن عزيزة بو الطويل ثعبان عاث في مدينة عين الرماد فسادا.. ....

شخصية "فاتح اليحياوي" شخصية من الشخصيات الجزائرية التي تنتمي إلى طابور المثقفين الذي يعيشون وقع الأزمة، ويحترقون بلهيبها كل يوم، فقد كانت معاناتهم مضاعفة بسبب بذور النقاء والطهر الذين يحملونه في أعماقهم.

[1]– حفيظة طعام: المثقف والسلطة في روايات عز الدين جلاوجي ضمن كتاب سلطان النص، دارالمعرفة،الجزائر،دط،2009 ، ص: 265.

[2]– محمد رياض وتار: المثقف في الرواية العربية السورية، ص:38 – 39.

إن اصطدام "فاتح اليحياوي" بهذا الواقع المزري بكل تفاصيله الذي يحمل معاناة إلى فئة حملة الشهادات الجامعية كونهم تحدوا الواقع بمبادئهم الطاهرة النقية التي أرادت التغيير نحو الأفضل، هذا الوضع المعاكس حول هذه الشخصية المثقفة إلى شخصية سلبية، تعيش الحاضر بوقع سلبي، لقد صمتت إلى الأبد، ولم تعد إلا من خلال إفضاءات وهمسات ذاتية، عبر حديثه إلى نفسه (المونولوج)، أو عن طريق البوح لدفاتره بخواطر تهكمية، تشي بمفارقات الواقع ومآسيه، وبذلك أصبح "فاتح اليحياوي" يتقاسم مع بقية سكان (عين الرماد) ذلك الزمن الجنائزي بما يؤثثه من موت فكري، ومن صمت وسكونية وخضوع، ولأن <<الموت نهاية مجردة، وهو لا يمكن أن يصبح بداية إلا إذا تخلى الإنسان عن كل لحظات الإثارة وتقبل الموت نفسه باعتبار أنه وجه الحياة الآخر..>> (1)

يتضح تفاقم الوضع الاجتماعي والسياسي الذي زاد من حدة توتر الشخصية، مما يجعلها تفقد الثقة في كل ما يحيط بها، لأن الموت يحاصر تحركاتها، ويحاول الحد من موقفها والقضاء على أفكارها، ما جعله يعيش مصيرا محتوما كثيرا ما واجه المثقف في ظل مجتمع لا يعي قيمته، ولا يحسن رد الجميل، فكانت وجهة الشخصية "فاتح اليحياوي" الاعتزال بمعنى اختار أن يعيش <<بعيدا عن المجتمع (مغتربا في الذات)، وهو مستقر داخل مجتمعه، لكنه منعزل عنه، والعزلة هنا استعمال آخر لمصطلح اغتراب>> (2)

هذا المثقف تحول إلى مغترب عن المجتمع بسبب لا وعي المجتمع (مدينة الرماد) التي تفتقد له وتعيش انهيارا على جميع المستويات، ورغم هذه الظروف والانهيارات على مستوى القيم والتي انعكست على المثقف، ولم يأبه لذلك وبقي وفيا لمبادئه ومتمسكا بنقائه من أجل صنع قيم جديدة، رغم عجزه عن ممارسة التغيير والثورة فقد دخل السجن، لأنه أراد محاكمة السلطة (عزيزة الجنرال)، والتي لفقت له مجموعة من التهم بالتواطؤ مع مؤسسات الدولة التي تمثل السلطة القانونية، فوجد نفسه في السجن، والذي يمثل الجزاء والعاقبة التي تنتظر كل مثقف متمرد عن الواقع.

هكذا أصبحت مدينة عين الرماد في نظر "فاتح اليحياوي"، مكانا معاديا يثير الاحساس بالضيق والعداء(3)، وكان من آثار ذلك (زمن المدنس)، ارتماء الشخصية في أحضان المكان المعزول أن تولدت شخصية أخرى <<تشكل ذات جديدة أشد صلابة لكنها أكثر تشاؤما>> (4)، واحباطا، ولا سيما عندما تواجه هذه الشخصية تحديات أخرى، ترفضها وتتناقض مع هويتها، ولكن هذا الرقي بالذات من هذا الواقع الفاسد الأليم يبرز حجم الاغتراب الذي يعيشه المثقفون في أوطانهم، فيسعى جاهدا إلى استعادة شخصيات ليبرز أن أزمة المثقف واحدة في كل الأزمنة (ماض–حاضر– مستقبل)، فالأيام والأشهر والسنوات تكرر نفسها، لقول الروائي <<تعرض فاتح اليحياوي لانتكاسات كبيرة جعلته يعيد كل حساباته، ويصاب بإحباط رهيب، ويفقد الثقة في الناس جميعا فينطوي على نفسه بعيدا عن الجميع وقد آمن أن هذا النوع من البشر لا يمكن إصلاحهم>> (5) هكذا انعكست الأزمة الجزائرية على المثقف.

[1]– الصادق النيهوم: الكلمة والصورة، تالة للطباعة والنشر، الأردن، ص: 109.

[2]– حسين عيد: المثقف العربي المغترب في الرواية الحديثة، ص: 287.

[3]– محمد عويد ساير الطربولي: المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي 484هـ – 898هـ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2005، ص: 15.

[4]– شاكر عبد الحميد: الوعي بالمكان ودلالاته في قصص محمد العمري، مجلة فصول، القاهرة، مج13، ع4، 1995، ص: 261.

[5]– عز الدين جلاوجي: الرماد الذي غسل الماء، ص: 192.

2) - الشخصيات ذات المرجعية الاجتماعية:

تحيل الشخصية ذات المرجعية الاجتماعية إلى فئة من المجتمع تمثل شخصية بعينها ونموذجا بذاته، وهذا ما أشار إليه "فيليب هامون" بـ "العامل والفارس والمحتال"، وهي النسبة الأكثر تواجدا بالرواية باعتبارها نماذج تسند لها أدوارا تقوم بها ، وتسهم في تفعيل الحدث، وتحريكه إلى الأمام، فهذه الشخصيات <<تحتل موقعا هاما في بنية الشكل الروائي، وهي أحد المكونات الأساسية للرواية إلى جانب السرد والبيئة وتأتي للشخصية أهميتها كعنصر أساسي في الرواية بتصوير المجتمع الإنساني الذي يشكل فيه الشخص العمود الفقري والقوة الواعية التي يدور في فلكها كل شيء في الوجود، ثم إن الشخصية الروائية فوق ذلك تعتبر العنصر الوحيد الذي تتقاطع عبره كافة العناصر الشكلية الأخرى، بما فيها الإحداثيات الزمنية الضرورية لنمو الخطاب الروائي واطراده>> [1]، <<وهذه الشخصيات لم توجد فعلا خارج القصة، وإنما هي ممكنة الوجود، باعتبار أن بعض سماتها وملامحها وأفعالها (أوجلها أحيانا) مستقاة من مجتمع ذي وجود حقيقي>> [2] .

ومن بين هذه الشخصيات نذكر ضمن رواية "راس المحنة **O=1+1**".

- شخصية "صالح رصاصة":

شخصية من فئة اجتماعية متوسطة، مجاهدة، ترفض الخونة أعداء الوطن، عنوان رسالتها الكفاح من أجل الوطن ساهمت في خروج الاستعمار الفرنسي من الجزائر، أقصي حضورها بعد ذلك بتهميشها رغم النضال الذي أنجزته، لقب بصالح رصاصة على حمله الرصاص أثناء الثورة . وبعد نيل الاستقلال انقلب الوضع فأصبح يسمى بـ "صالح المغبون"، ظلم بكل الوسائل والطرق، يقول: <<كنت صالح الرصاصة يوم كان الرجال رجالا... فلما تحررت البلاد أسموني صالح المغبون... وفي آخر عمري صرت صالح المجنون>> [3].

تعيش هذه الشخصية واقعا متأزما متعفنا سببه الإخلاص والوفاء للوطن وللمبادئ السامية يقول: <<ظلم طبقة تعتني بطرق ملتوية وتكنز الذهب والفضة لطبقة أخرى خانتها ظروفها أو سارت على الطريق السوي فبقيت أقل من الأولى>> [4].

يتضح الصراع بين طبقتين اجتماعيتين، صراع مشحون بالتوتر، طبقة مسندة إلى ثرواتها ومالها ونفوذها ووساطتها على الرغم من قلة من يمثلونها تريد إخضاع الطبقة التي يمثلها الشعب خاصة الفقراء لأنها مخلصة لمبادئها.

هذه الوضعية الاجتماعية والاقتصادية والطبقة اللامتوازنة خلقت صراعا بين طبقتين غنية وفقيرة استمرت إلى ما بعد الاستقلال، كان الهدف من إبراز هذا الصراع كشف نسق النص الأدبي مجسدا للحياة الإنسانية على نحو أعمق ، وما كانت الغاية الأساسية من إبداع الشخصيات هي أن تمكننا من فهم البشر ومعايشتهم>> [5] .

---

[1]- محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية العربية، ص: 152.

[2]- الصادق قسومة: طرائق تحليل القصة، ص: 102- 103.

[3]- عز الدين جلاوجي: راس المحنة، ص:47

[4]- المصدر السابق، ص: 186.

[5]- روجرب هينكل: قراءة الرواية- مدخل إلى تقنية التفسير- تر: صلاح رزق، دار الآداب، القاهرة، ط1، 1995، ص: 231.

كان من الطبيعي اعتبار مقومات الهوية لدى الشخصيات في الواقع المعاش من: اسم وكنية وجنس وسن وحالة اجتماعية هي نفسها مقومات الهوية لدى الشخصيات الروائية، وهذه العناصر في مجملها تشكل ما يطلق عليه بالبطاقة الدلالية للشخصية، وتحقق هذه السمات وجودها من حيث هي<< الألسانيا، باعتبار السمات هي دال الشخصية، عن طريق (وصف بورتريه، اسم علم، اسم وبدائله)>> [1].

يشير ما سبق إلى أن الشخصية الروائية قد يتم تعريفها بصفة تكون ملازمة لها أو من خلال مجموعة من الصفات، أيضا قد يتم تعريفها بواسطة اسم صريح أو أحد بدائله مما يقوم محله من كنية أو لقب...إلخ.

وفي ذات السياق نجد أن الروائي استعمل أسماء جزائرية خالصة كـ "صالح رصاصة"، وهذا يعكس جليا شخصية مستوحاة من الموروث التاريخي الاجتماعي: لأن هذه الرواية تعبر عن فترة ما بعد الاستقلال والمصير الذي آلت إليه الشخصيات التي ضحت بالنفس والنفيس وعائلاتها من أجل أن يعيش هؤلاء المستفيدون من الاستقلال أبناء الحركيين.

3) - الشخصيات ذات المرجعية التاريخية:

يتم استدعاء الشخصية ذات المرجعية التاريخية لتكون شاهد التاريخ (الماضي على الحاضر)، باعتبارها ذات انتماء تاريخي تؤدي دورا مهما عن طريق رمز قصد إليه الكاتب وبذلك أضحت <<الصنف الأكثر غموضا في الشعرية>> [2]، فعلى الرغم من كون <<الشخوص هم أهم ما في الرواية لأنهم الفاعلون، والفاعلية هنا نعني بها صنع حدثية الرواية كيفما كان شكلها>> [3]،حتى وإن كانت متخيلة وتنتمي في سماتها إلى زمن بعيد إلا أنها تعبر عن سمات ومواقف لشخصيات أو أحداث من الحاضر، وتخدم الروائي الذي يحملها أفكاره ورؤاه، بعيدا عن المباشرة والتقريرية، تتبدى للقارئ من خلال أسمائها أو أفعالها، أقوالها ومآثرها. تجاور باقي الشخصيات وتقوم بدور أو تؤدي وظيفة مما يجعلها مشاركا في تفعيل الحدث.

إن روعة وجاذبية الرواية التاريخية تكمن في أنها تجذب القراء إلى عالم هو مزيج من الرواية والحقيقة مما يجعل التاريخ حيا، ونافذة يطل منها القارئ على تاريخه العريق، كأن هذا المصدر مرتبط بوجود الإنسان، لأنه كائن يعيش بين الماضي والحاضر ولا سبيل للخروج من هذه الثنائية.

وفي سياق مغاير يصفها بأنها <<رواية تثير الحاضر ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق بالذات>> [4]

إن توظيف الشخصية التاريخية يحيل إلى أن أحداث الرواية حقيقية ولها مصداقية كبيرة تجعل المتلقي يوهم بواقعية الأحداث رغم تخييلها من طرف الراوي الذي يتخفى وراء شخصياته من خلال أفكاره وما أراد أن يعلم به القارئ من أحداث غامضة تفتح أسفار التواصل بينهما، وتتمثل الشخصية الأولى في صورتها المرجعية:

فرحات عباس:<<من مؤسسي جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، وعمل رفقة الأمير خالد، ومواقفه مشرفة لتحصيل حقوق الجزائريين من أيدي المعمرين، والمطالبة بالمساواة معهم، لقد تخرج فرحات عباس من جامعة الجزائر، كلية طب وصيدلة،

[1]- فيليب هامون: سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد،دار الكلام،الرباط،1990، ص: 51.

[2]- تزفيطان تودوروف: مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمن مزيان، ص: 71.

[3]- ذويي خثير الزبير: سيميولوجيا النص السردي- مقاربة سيميائية لرواية الفراشات والغيلان- رابطة أهل القلم، سطيف ، د ط، 2006، ص:83.

[4]- جورج لوكاتش: الروية التاريخية، تر: صالح جواد الكاظم،دار الطليعة،ط1،بيروت،1978، ص:89.

وأبى إلا أن يفتح صيدلية في هذه المدينة، ومنها سيخوض نضاله النيابي، إنه كطائر النورس، يحب الحرية، يحب التحليق في الفضاء المفتوح، يحب ارتياد الشواطئ ليختار أجملها وأبهاها، وهذا شاطئه نرجو أن يجد رماله ناعمة.

–أيها الإخوان هذا كتابي الأول عنونته بـ "الشباب الجزائري" أصدرته سنة **1931**، تحدثت فيه عن وضعية الإنسان الجزائري وما يعانيه من قهر وإقصاء وتخلف>> (1)

عمل الروائي ضمن المقطع سابق الذكر على التعريف بشخصية "**فرحات عباس**" هذه الشخصية التاريخية الثورية وكذلك ذات المرجعية الثقافية، يربط العلاقة بينها والمتواصل مع المجتمع من خلال أفكاره وبحثه عن حقيقة الوجود، وهو صوت التاريخ (الماضي في مقابل صوت الحاضر/الراهن، شخصيته تتناوب الحضور وأداء الدور الذي أناطه لها الكاتب مع الشخصيات الأخرى، ويبدو أن النص حامل لصورة مستقبلية أخرى أراد صاحب النص تبليغها لنا تحمل تفاؤلا مفاده كتابه الحامل لصورة ووضعية الشعب الجزائري المزرية <<عندئذ تتحول الشخصية بفعل هذا الانهمار متعدد الأطراف إلى رمز عميق الدلالة>> (2)، هذا الرمز يحمل اللغة الفرنسية التي كتب بها الكاتب بمعنى الذوبان في فرنسا حتى تمنحه الجنسية، وهذا إن دل فإنه يدل على النقد الموجه لهذه الشخصية مسلوبة اللسان والعقل وكذا القلب منبهة في صورة أخرى إلى التغيرات والتحولات السياسية والاجتماعية يفعل هذه الشخصيات (فرحات عباس) من أجل مآربه الخاصة، إذ حاول الكاتب الوقوف على الجانبين (السلبي والإيجابي) للشخصية المستحضرة <<لتتحول من شخصية نوعية خاصة إلى شخصية كلية عامة>> (3)، يبعث من خلالها <<ضمن سياقاتها الدلالية والتاريخية والمعرفية، مما يجعل النص إطار البؤرة خاصة، ولكن مموهة>> (4)، هي الجانب الفكري للكاتب في بحثه عن الحقيقة التي انعكست سلبا على جميع الجوانب.

فهذه الشخصية تصر على إرغام الشعب ليقبل بقرارات "موريس فيوليت" باعتباره المنقذ الذي انفلت من عقلاء فرنسا، وما ينبغي للشعب الجزائري أن يضيع هذه الفرصة الثمينة. وأنه لا عيب إذا كان الشعب الجزائري مسلما وفرنسيا، وهذا ما يدعمه المقطع: <<أي إخواني الأعزاء، لقد بحثت في القرآن الذي هو كتابنا ودستورنا الغالي، فلم أجد ما يمنع أن أكون مسلما فرنسيا، أنعم بالعلم والحضارة>> (5)، فهذه الشخصية التاريخية أرجعت سبب تخلف الجزائر واستعمارها هو جهلها، وسبيل تقدم الشعوب هو العلم، وأن مطالبة الشعب الجزائري بالثورة يعني أمرين أولهما الزوال والفناء لتكون محاولات أسلافهم وأجدادهم باءت بالفشل، وثانيهما تضييع على أنفسهم فرصة كبيرة في التقدم والتحضر وبناء مجتمع قوي في ظل الدولة الفرنسية العظمى، فيقول:<<إني غير مستعد أن أموت من أجل وطن جزائري، لأن هذا الوطن لا وجود له، فقد بحثت عنه في التاريخ فلم أجده(6)>>. وهذا ما يقصد به الكاتب بالانعكاس السلبي للواقع.

---

[1]– عز الدين جلاوجي: حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر،دار الروائع،الجزائر،ط1،2001، ص: 396.

[2]– صلاح فضل: شفرات النص – دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد، دار الآداب، بيروت، ط1، 1999 ،ص: 246.

[3]– شاكر عبد الحميد: الحلم والرمز والأسطورة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1998،ص: 325.

[4]– عبد الله إبراهيم – صالح هويدي: تحليل النصوص الأدبية – قراءات نقدية في السرد والشعر، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت، ط1، 1998، ص: 88.

[5]– عز الدين جلاوجي: حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص: 441.

[6]– عزالدين جلاوجي: رحلة البحث عن حوبة والمنتظر، ص: 487.

ومن هنا أمكننا القول أن نصوص "عز الدين جلاوجي" استلهمت من التاريخ، وهذا إن دل فإنما يدل على اطلاعه الكبير وتمكنه من دراسة التاريخ ما منحه قدرة التعبير الخلاق للاعتناء به في نصوصه ضمن أصوات لعبت أدوارا مختلفة في أزمنة متباعدة من تاريخ البشرية.

4) – الشخصيات ذات المرجعية الأسطورية:

تحيل الشخصيات ذات المرجعية الأسطورية في النص إلى الماضي والتاريخي معا، لاشتراك الأسطورة والتاريخ في الماضي، واحتمائهما به، وتحمل معاني التواصل بين حقبتين بعيدتين زمانيا، قريبتين دلاليا، تسهم في تفعيل الحدث وتحريكه إلى الأمام، ولأن توظيف الأسطورة يعني <<استثمار المخزون العاطفي والنفسي لها في وجدان القارئ ليدفع به الانفعال بعالم{النص}(1)>>، إلى تحميلها طاقة أكبر من الفاعلية، والذي لا يختلف فيه أي توظيف الشخصية الأسطورية يكون تبعا للموقف المراد التعبير عنه.

ويدخل في تصنيف الشخصية ذات المرجعية الأسطورية **شخصية الأولياء** التي تتجلى فيهم مظاهر الاعتقاد بقيمة البركة لقول السارد: <<دخل القرابة* وقد وضع مكحلة على الأرض احتراما للمكان، أعاد صورة الشيخ الذي تجلى له في المنام، من هذا المطرز بالوقار، المدثر بالبياض؟ هل هو بشرى ليصير وليا صالحا، هل هي روح والده تدعوه للانتقام؟ هل هو صورة أخرى من البهلي** لخضر؟ تلمس قبر سيدي علي، داهمته قشعريرة، نزع عمامته بيسراه، جثا على ركبتيه، قبّل الضريح، وراح يجهش بالبكاء كطفل صغير: البرهان يا سيدي علي... البرهان يا سيدي علي... البرهان يا سيدي علي...>> (2)

يتضح من هذا المقطع أن الولي رجل صالح حظي باحترام الناس في حياته ومماته، يلجأ إليه للتبرك والحظوة، وما يحكى عنه أنه رجل دين وتقوى، فتحول بهذا إلى شخصية أسطورية بفعل العقلية الشعبية وما كانت تروى عنه، فحظيت بالتقديس لدى عامة الناس وخاصتهم، توظف ضمن النصوص السردية لإدهاش القارئ وجذبه من المعقول إلى اللامعقول، إضافة إلى العالم العجائبي الذي يضعنا صاحب النص فحواه، وهنا تكمن الفاعلية التي يضفيها هذا الولي في قول السارد: <<ولم يكتف ببناء الزاوية فحسب، بل أقام قريبا منها قرابة بنى فيها ضريحا لأبيه ليتخذه الجميع مزارا، وبقدر ما ظل الناس يدعونهم أولاد سيدي بوقبة، كانوا يدعونهم أيضا أولاد سيدي أحمد، وراحت المخيلة الشعبية تنسج حوله الأساطير، كان بلقاسم يراه دائما في منامه، طائرا مرة محلقا فوق العرش يحرسه ويحميه، ومدججا بالأسلحة ثانية يدافع عن حماه، ومبتسما مستبشرا رضا بما صنع بلقاسم، وقلقا عليه يلومه في أمر لم ينجزه أو لم يتقنه، ويجدبون فيغيث ببركته، ويمرضون فيشفي ببركته، وتكاثر الناس حول قرابته يذبحون الأضاحي، ويقربون الهدايا، ويتبرعون بأعز ما يملكون من أنعام وبهائم وحبوب وأراض، مقابل دعوات يرجون قبولها، أو حصوات يحملونها من القبر وما حوله تدفع عنهم غائلة الزمن القاسي>> (3)

---

[1]– عبد الله الغذامي: تشريح النص – مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، المركز الثقافي العربي، دار الطليعة، بيروت، 1987، ص: 145.

* – القرابة: هي بيت صغير يبنى فوق ضريح الولي الصالح، له قبة، ويطلى ببياض، وسميت كذلك لأن الناس يتقربون فيها إلى الله من خلال الولي، وعادة لكل عرش ولي يعتقد أنه جدهم الأكبر، نقلا عن المصدر نفسه، ص: 44.

**– البهلي لخضر: تعني الدرويش الزاهد في الدنيا، وقد يطلقون عليه اسم المرابط أيضا، ولعلها في الفصحى من لفظة الباهل أو البهلول، نقلا عن المصدر نفسه، ص: 38.

[2]– عز الدين جلاوجي: حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص: 44– 45.

[3]– المصدر نفسه، ص: 50.

ليؤدي بهذا المقطع مفهوما فحواه أن "الولي" في المجتمع الجزائري يؤدي وظيفتين: الأولى اجتماعية تتحقق بفضل التفاف الناس حول "الولي" فينشأ بينهم نوع من الارتباط الروحي وتتكون علاقات اجتماعية، وأما الوظيفة الثانية فهي وظيفة دينية تنشأ عن كون الولي/الرجل الصالح، قدوة حسنة للناس نتيجة التزامه بتعاليم الدين والعمل بها [1]

أما عن هذه الشخصيات ذات المرجعية الاسطورية ومدى استشرافها للغيبة تقول حمامة <<هذا البهلي لخضر.

قالت الأم عقيلة:

– صدقت، إنه هو، نفعنا الله بركته.

وأسرعت تلقاه، عادت به حيث زوجها الذي عجل يستقبله بإكبار وتقدير، قبله على رأسه وهو يقول:

– نفعنا الله ببركتك، اجلس لتأكل معنا.

جلس البهلي لخضر متجشئا كما العادة وهو يقول:

– الأرض عطشانة، دمنا يرويها، قلوبنا خربانة غلنا يسقيها، حمامه حيرانه، للشرق نرميها، للشرق نرميها، سيد القوم يحميها، سيد القوم يحميها.

يا ناس يا ناس، هو سيد الناس يرفع الباس، ويعلي الراس، اسمه بالعين يبدا، والنفوس له تهدا، يرفع راس بلادنا ويعز نفوس أولادنا..... .....

تقدم الشخصيات الأسطورية لغزا ورمزا للفئات الاجتماعية، لما تحمله من جماليات مستعارة وعجائبية تقدم في كل نص تأويلا جديدا للوجود، تغذي الفضاء السردي للرواية بإيحاءاته وإيماءاته، ولكن الإيمان بقدرات هؤلاء الأولياء في تحقيق رغباتهم عن طريق الدعاء والقرابين سبيلا في قبول دعواتهم ما جعلهم يضعون واسطة بينهم وبين خالقهم، وما كانت هذه المعتقدات إلا دليلا على تخلف الشعب وضياعه بينها ما جعله يغير من آرائه وأفكاره ودليل ذلك "الشيخ لكحل" الذي أراد تزويج ابنته "لعباس القايد" رغبة عند "البهلي لخضر" وما كان يقوله من ألغاز تمكنت "عقيلة" وزوجها بفك شفراتها بتزويج ابنتهم "للقايد عباس" رغم رفضهم لذلك في البداية، وما يدل على ذلك المقطع التالي: <<عاد إلى زوجته، وقد كانت أنفاسه تنقطع، احتلى بها داخل البيت وقال:

– ما رأيك

ردت عقيلة مرتجفة:

– كلام هذا البهلي يخيفني.

احتقن وجه الشيخ لكحل، وقال:

– أردناه عونا على عباس الظالم، فإذا به يجعل منه سيد الناس.

سألت زوجته عقيلة فرد:

– ومن غيره يبدأ بالعين ويمكن أن يكون سيدا؟

[1]– إبراهيم فضالة: شخصيات رواية الشمعة والدهاليز – دراسة سيميائية ، رسالة ماجيستير، مخطوط، إشراف :نور الدين السد، الجزائر، ص: 68.

التحفت الحيرة ملامح عقيلة، كلام البهلي لخضر لا يمكن أن يخطئ...

فالأسطورة بهذا تضفي أبعادا واقعية تعكس معاناة حقيقية إنسانية فتبعث رؤية مستقبلية، فهي ليست مجرد قصة خرافية تروي أحداثا عن شخصيات تخيلية عاشت الزمن الميتافيزيقي لأجل تحقيق مغزى معين مرفوق بتعبير جمالي عجائبي يربط الماضي بالحاضر عبر التطور التاريخي، ولهذا يغدو التاريخ <<مادة طينية، تأخذ كل الأشكال التي يمنحها تخيل الكاتب إياها. والتاريخي من هنا لا يقوم إلا بالخضوع للكتابة التخييلية مما يفتح مواجهة بين الواقعي والتخيلي بالرواية والأمر إذن يتعلق بمهنية الروائي، حيث تتواجد المعرفة التاريخية والمعرفة الروائية>> (1).

خاتمة:

ما يمكننا أن نخلص إليه من دراستنا لمستويات الشخصية هو عمق دلالتها وانفتاحها وانحرافها، فشخصيات "عزالدين جلاوجي" تجربة جديدة في الكتابة، أثبتت رؤيته الأيديولوجية التي أسكنها عالمها التخييلي لواقعه الذي عاشه ولا زال يعيشه والذي يجيب عن الكثير من تساؤلاته ذلك أن بناء الشخصية ليس عملية اعتباطية خاضعة لمزاج المبدع ومزاج المتلقي، وإنما هو عملية واعية لمجموعة من القيود والإرغامات، ولا يمكنها أن تتشكل ككيان حي بعيدا عنها.

هذه الشخصيات التي تتكلم بكامل عنفها وصخبها ولحظة تنتهي من مجمل أدوارها الوظيفية يتبدى للقارئ وكأنها تحلم وتحاول أن تفتق المخزون الفكري والأسطوري فيعيد بناء هذه الشخصيات وفق تضاريس جديدة مليئة بالمتناقضات والانحرافات.

مما يجعل وجودها في النص مقصودا، وبناءها مدروسا ومن بين النتائج المستخلصة من الدراسة ما يلي:

- ساهمت الشخصيات ذات المرجعيات المختلفة المستمدة من الواقع الجزائري، مساهمة فعالة في بلورة الوعي.
- يمكن أن يكون للصراعات السياسية والاجتماعية فترة التسعينات دور في تكرار بروز هذا النوع من الشخصيات ذات التواجد الفعلي في مجتمعنا، والهدف من استثمارها هو الكشف عن انكسارات الوطن بخلفية رمزية.
- وقد لعبت الشخصيات الأجنبية دورا بارزا بمنحها صورة سلبية متحررة من القوانين والسنن العربية، والتي تهدف إلى تحطيم الكيان الجزائري والنيل منه، سعيا من الروائي تبيان العلاقة بين الأنا والآخر.
- فكان أن جمع المبدع بين الحقائق التاريخية والموروث الثقافي الشعبي، وما نتج عن التحولات في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية التي يمر بها المجتمع وخياله الفني ،فنمت شخصياته متغيرة ومتأقلمة مع الأحداث فتنمو معها اجتماعيا ونفسيا وحتى فكريا.

توصيات وآفاق:

-إن المتتبع لأعمال الروائي "عزالدين جلاوجي" يجدها منفتحة على نصوص أخرى تلاقحت مع نصوصه وفق ثنائية الحضور والغياب، فتناص مع آداب عالمية وعربية تراثية ومعاصرة.

[1]- سعيد علوش: الرواية والأيديولوجية في المغرب العربي، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان،ط1 ،1981، ص: 27.

- عرفت اللغة انزياحا وكسرا للمألوف في نصوصه أكسبها بعدا عجائبيا وجماليا على مستوى الشكل والمضمون ما حقق سمات شعرية مميزة.
- تبني الروائي الرمز والإيحاء في رواياته كرد فعل عما يشوب الواقع من تناقضات تتعارض ورؤى الكاتب الاستشرافية للراهن.
- كسر الحواجز بين اللغة الشعرية والنثرية وتبقى القراءة مفتوحة على تأويلات عديدة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الصادق قسومة: طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، تونس، د ط، 2000.
2. الصادق النيهوم: الكلمة والصورة، تالة للطباعة والنشر، الأردن.
3. إبراهيم فضالة: شخصيات رواية الشمعة والدهاليز – دراسة سيميائية – رسالة ماجيستير، مخطوط، الجزائر.
4. السعيد بوطاجين: الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية غدا يوم جديد لابن هدوقة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2000.
5. أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ط، 1987.
6. تزفيطان تودوروف: مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2005.
7. جورج لوكاتش: الروية التاريخية، تر: صالح جواد الكاظم، دار الطليعة،بيروت،ط1978،1.
8. حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)،المركز الثقافي العربي،بيروت،ط1990،1.
9. حسين عيد: المثقف العربي المغترب في الرواية الحديثة، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 26، ع1، سبتمبر1998.
10. حفيظة طعام: المثقف والسلطة في روايات عز الدين جلاوجي ضمن كتاب سلطان النص-دراسات- دارالمعرفة،الجزائر،دط،2009.
11. ذوبي خثير الزبير: سيميولوجيا النص السردي- مقاربة سيميائية لرواية الفراشات والغيلان- رابطة أهل القلم، سطيف ، د ط، 2006.
12. رولان بارت: مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: منذ عياشي، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، سورية، ط1، 1993.
13. روجرب هينكل: قراءة الرواية- مدخل إلى تقنية التفسير- تر: صلاح رزق، دار الآداب، القاهرة، ط1، 1995.
14. لطفي السيد محمد: أوراق عبد الله العروي، القوى السردية الفاعلة -كتابات معاصرة، عدد 43.
15. ينظر محمد الناصر العجيمي: في الخطاب السردي، نظرية غريماس- الدار العربية للكتاب، سلسلة مسائلات، تونس، د ط، 1993

16. محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكاتب، القاهرة، 1978.
17. محمد رياض وتار: المثقف في الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2000.
18. محمد عويد ساير الطربولي: المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي 484هـ - 898هـ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2005.
19. صلاح صالح: سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2003.
20. صلاح فضل: شفرات النص - دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد، دار الآداب، بيروت، ط1،1999.
21. عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)،دار المعرفة،الكويت،1998.
22. علي أرمليل: سؤال الثقافة - الثقافة العربية في عالم متحول، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2005.
23. عز الدين جلاوجي: الرماد الذي غسل الماء، دار الروائع،الجزائر،ط1،2010.
24. عزالدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، دار الروائع،الجزائر،ط1،2001.
25. عبد الله إبراهيم - صالح هويدي: تحليل النصوص الأدبية - قراءات نقدية في السرد والشعر، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت، ط1، 1998.
26. عبد الله الغذامي: تشريح النص - مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، المركز الثقافي العربي، دار الطليعة، بيروت، 1987.
27. غسان زيادة: إنه نداء الجنوب - قراءات في الأدب والرواية- دار المنتخب العربي للدراسات، بيروت، ط1، 1995.
28. ينظر: فلاديمير بروب: مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن وسميرة عمو، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 1996.
29. فيليب هامون: سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار الكلام،الرباط،1990.
30. سعيد علوش: الرواية والأيديولوجية في المغرب العربي، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان،ط1، 1981.
31. شاكر عبد الحميد: الوعي بالمكان ودلالاته في قصص محمد العمري، مجلة فصول، القاهرة، مج13، ع4، 1995.
32. شاكر عبد الحميد: الحلم والرمز والأسطورة، الهيئة العامة المصرية للكتاب،1998.
33. شريبط أحمد شريبط: سيميائية الشخصية الروائية، تطبيق على آراء فيليب هامون (Philippe Hommon) على شخصيات رواية "غدا يوم جديد" لعبد الحميد بن هدوقة، النص الأدبي سيمياؤه، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار، عنابة 15-17 ماي، 1995.
34. Philippe Hommon : pour un statue sémiotique du personnage. Un poétique du récit seuil, 1979 .